الحلقة (٢٢)

تحدثنا في الحلقة السابقة عن أقسام هذه الأفعال كان وأخواتها من حيث التصرف والجمود، وعرفنا أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول: **قسم من الأفعال جامدة لا تتصرف مطلقا**، وهي **ليس** عند جميع النحويين، و**دام** عند أكثر النحويين.

القسم الثاني: **أفعال تتصرف تصرفا ناقصا لأنها يأتي منها ماضي ومضارع واسم فاعل لا يأتي منها فعل أمر**، وهي أربعة أفعال (**زال** و **فتئ** و **برح** و **انفك**) هذه لا يأتي منها فعل أمر وقد يأتي منها بقية التصاريف الأخرى.

القسم الثالث والأخير: **أفعال تتصرف تصرفا تاما، بمعنى يأتي منها ماضي ومضارع وأمر ومصدر واسم فاعل** وهكذا، وهي السبعة الباقية (**كان** و**ظل** و**بات** و**أضحى** و**أصبح** و**أمسى** و**صار**) هذه تأتي منها جميع التصاريف.

من الأمثلة على صيغة الماضي كقوله تعالى: (**وكان** ربك قديرا) هذه صيغة الماضي.

ومن الأمثلة على صيغة المضارع كقوله تعالى: {**وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**} أك: هنا أصلها أكون فدخل الجازم فأصبحت أكونْ بسكون النون وسكون حرف الواو، فالتقى ساكنان فحذفنا الساكن الأول وهو الواو فأصبحت أكن، ثم حذفت النون تخفيفا فأصبحت **أك**، وسيأتينا إن شاء الله من خصائص كان جواز حذف نونها، إذا **أك**: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة، واسمها ضمير مستتر تقديره (أنا) وبغيا: خبرها منصوب وعلامة نصبه الفتحة، الشاهد أن كان جاءت بصيغة المضارع "أكن".

مثال آخر: عند دخول الشتاء يصير الجو باردا، صار ماض، ومضارعه يصير، فيصير فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو فعل ناسخ، الجو اسم يصير مرفوع، وباردا خبر يصير منصوب.

ومن الأمثلة على صيغة الأمر قوله تعالى: (كُونُوا حِجَارَةً) فإذاً كونوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو واو الجماعة اسم كونوا، حجارة خبر كونوا منصوب.

ومثال آخر: أَصْبِحْ مسرورا، أصبح فعل أمر مبني على السكون وفعل ناسخ، واسم أصبح ضمير مستتر تقديره (أنت)، مسرورا خبر أصبح منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

ومن الأمثلة على مجيء بعض هذه الأفعال مصدراً: أحبك لكونك تقيا، هنا لكونك اللام حرف جر، وكون اسم مجرور وعلامة جره الكسرة، وكون مصدر كان يكون كونا، وهنا إذا أردنا أن نعرب كونك الكاف في محل رفع اسم كون، وتقيا خبر كون منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وكون هنا مضاف

والكاف مضاف إليه في محل جر بالإضافة لأنها مضاف إليه، وكذلك في محل رفع لأنها اسم كون.

ومنه قول الشاعر: ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ***وكونك إياه عليك يسيرُ

الشاهد في قوله: وكونك: كون: هنا مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف، والكاف مضاف إليه في محل جر، إياه: هنا خبر كون في محل نصب، واسم كون هنا الكاف في محل رفع اسم كون، وتلحظون أن كون هنا عملت عمل كان، بمعنى أنها رفعت ونصبت، فالكاف في محل رفع اسمها، و إياه في محل نصب خبرها، وكون مبتدأ، ويسير خبر، جاء بالمصدر من كان فقال: كون، يفترض أن نقول يسيرٌ، لكن قلنا يسيرُ من أجل القافية.

ومن الأمثلة على هذه الأفعال التي تتصرف تصرفا تاما مجيئها على صيغة اسم الفاعل:

أنت اليوم ممسٍ مبتسما، ممسٍ من أمسي فهو ممسي بالياء، لكن حذفت الياء لأنه منقوص والمنقوص تحذف ياؤه أحيانا، فتقول ممسٍ، وممسٍ اسم فاعل، أنت مبتدأ وممسٍ خبر، فممسٍ أين اسمها؟ اسمها ضمير مستتر تقديره أنت ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت، ومبتسما خبر ممسٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة، ممسٍ اسم فاعل عمل عمل الفعل الماضي أمسى فهو ممسٍ، فالتصاريف هذه تعمل العمل نفسه الذي يعمله الفعل الماضي.

ونحو قول الشاعر: وما كل من يبدي البشاشة كائنا *** أخاك إذا لم تلفه لك منجدا.

أي ما كل من يتبسم في وجهك هو أخوك في الحقيقة، إن لم يكن عند الشدائد مساعدا لك. الشاهد في قوله كائنا، كائنا هنا اسم فاعل من كان، كان يكون فهو كائن، فكائنا هنا عملت عمل كان رفعت الاسم، أين الاسم؟ كائنا هو الاسم ضمير مستتر تقديره كائنا هو، وخبرها أخاك، فأخاك هنا خبر كائنا منصوب بالألف وهو مضاف والكاف مضاف إليه، لأنه من الأسماء الستة، وإعراب كائنا هو خبر ما، ما كُل **وهذه ما الحجازية وهي التي ترفع الاسم وتنصب الخبر** كما في قوله تعالى: {مَا هَذَا بَشَرًا} وسنتكلم عن ماء الحجازية إن شاء الله في هذا الفصل، جاء باسم الفاعل من كان قال كائنا هذا اسم الفاعل من كان، وإعراب كائنا خبر ما، واسم كائنا ضمير مستتر تقديره كائنا هو، وخبر كائنا أخاك منصوب وعلامة نصبه الألف، وبهذا ننتهي من أقسام هذه الأفعال من حيث التصرف والجمود.

حكم توسط أخبار هذه الأفعال بينها وبين أسمائها:

إذاً عندنا الأصل في الترتيب أن يأتي الفعل ثم يأتي بعده اسمه ثم يأتي بعده الخبر، مثل قوله تعالى: {وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} ومثل: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} هذا الأصل في الترتيب.

تقول: ليس زيد بخيلا، هذا هو الأصل في الترتيب فالسؤال: **هل يجوز أن يتوسط الخبر بين الفعل الناسخ وبين الاسم؟ فتقول مثلا:** كان كريما زيد و ليس بخيلا محمد؟ هل يجوز أن يتوسط الخبر بين الفعل الناسخ وبين اسمه؟ هذه هي المسألة التي سنتحدث عنها الآن فنقول:

توسط أخبار هذه الأفعال بينها وبين أسمائها جائز إذا لم يكن هناك ما يمنع، إذاً الحكم مطلق وعام

أن خبر هذه الأفعال يجوز أن يتوسط بينها وبين أسمائها في جميع هذه الأفعال دون استثناء، لكن يشترط أنه إذا لم يكن هناك ما يمنع وسنوضح معنى ما يمنع.

مثال ذلك: نحو كان كريما زيد، فهنا كان فعل ناسخ واسمها زيد، وكريما هو خبرها، **تلحظون** أن الخبر توسط بين الفعل واسمه، وهنا بات مهضوما محمد، فالخبر هنا توسط بين الفعل الناسخ واسمه.

ومنه قوله تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} الفعل الناسخ كان، واسمها نصر وخبرها حقا، وتلحظون أن الخبر توسط بين كان واسمها، ومر بنا شاهد: فلا زال منهلا بجرعائك القطر، فمنهلا: خبر توسط بين زال واسمها وهو القطر.

ومثل قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ} هنا ليس فعل ناسخ، البر منصوب، وقلنا أن اسم ليس لابد أن يكون مرفوعا، لماذا قلنا ليس البرَ لماذا هنا منصوب؟ لأنه خبر ليس، وليس اسمها، طيب أين اسم ليس؟ نقول ليس اسمها هو المصدر المؤول من أن المصدرية وما بعده يعني ليس البر أن تولوا مقدرة بمصدر هذا المصدر هو اسم ليس، يعني ليس البر توليتكم وجوهكم فالتقدير والله أعلم ليس توليتكم وجوهكم البر فهنا إذا الشاهد في قوله أن خبر ليس توسط بينها وبين اسمها، وهذا جائز وكما قلنا في جميع الأفعال مع ليس وغيرها من الأفعال، بشرط أن لا يكون هناك ما يمنع.

ومنه قول الشاعر: لا طيب للعيش مادامت منغصةً ** لذاته بأذكار الموت والهرم

طبعا كثير من المعربين المبتدئين مباشرة سيقول أن منغصة اسم دام مرفوع وعلامة رفعه الضمة دون أن يتأمل، لأنه هو يعتقد أن الذي يأتي بعد الأفعال هو الاسم، وهذا خطأ لابد أن تتأمل وتعرف أن الاسم هو المحكوم عليه وأن الخبر هو الحكم، فلذلك مادامت منغصة لذاته فتلحظون أن منغصة خبر دامت، والتاء هنا تاء التأنيث لا محل لها من الإعراب، منغصة خبر دام، لذاته اسم دام مرفوع وعلامة رفعه الضمه، والتقدير ما دامت لذاته منغصة، إذا هنا شاهد على جواز توسط الخبر بين دام وبين اسمها.

ولذلك **تلحظون** أني حكمت على اللذات بأنها منغصة، إذاً عندي منغصة حكم، والحكم هو الخبر والمحكوم عليه هو المبتدأ وهو اسم كان أو إحدى أخواتها، نقول خبر دام وهو منغصة توسط بينها وبين اسمها وهو لذاته وهذا جائز لأنه ليس هناك ما يمنع من ذلك.

متى يكون المانع؟ نقول سواء كان يوجد في الكلام ما يمنع من توسيط كان بين اسمها وخبرها، فهنا يمنع التوسيط كيف يكون ذلك؟

يكون ذلك **إذا كان الخبر محصورا**، تذكرون أخذنا في المبتدأ والخبر من مواضع تأخير الخبر وجوبا أن يكون الخبر محصورا، وأحكام الخبر هناك هي نفسها أحكام الخبر هنا، وليس هناك فرق بين الخبر في المبتدأ والخبر في كان وأخواتها إلا في شيء واحد، وهو أنه هناك مرفوع وهنا منصوب، أما بقية الأحكام فهي تقريبا واحدة لا تتخلف، فلذلك **إذا كان خبر كان وأخواتها محصورا فإنه يجب تأخيره، وإذا وجب**

تأخيره لا يجوز توسيطه ومن ذلك أن يكون خبرها أي خبر هذه الأفعال محصورا بإلا أو إنما.
مثال ذلك إنما كان محمد كريما، فتلحظون الآن إنما أداة حصر، و كريما هو المحصور هو الخبر وكل محصور يجب تأخيره، فهنا إذاً هل يجوز توسيط الخبر بينها وبين اسمها؟ لا يجوز، لأنه محصور والمحصور يجب تأخيره، فإذا هنا لا يجوز لوجود المانع وهو الحصر.
ومنه قوله تعالى: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً} صلاتهم اسم كان، ومكاءً خبر كان، وتلحظون هنا أن الخبر لا يجوز توسيطه لماذا؟ لأنه محصور بإلا، فيجب تأخيره هنا ولا يجوز توسيطه بين الفعل وبين اسمه لوجود المانع وهو الحصر بإلا.
حكم تقديم أخبار هذه الأفعال على الفعل والاسم ما حكم ذلك؟
مثل: كريما كان محمد، فهنا الخبر كريما تقدم على الفعل واسمه، ومثل: بخيلا ليس زيد، فهل يجوز أن يتقدم الخبر على هذه الأفعال وأسمائها؟
نقول: هنا يجوز تقديم أخبار هذه الأفعال عليها وعلى أسمائها، لكن يستثنى من هذه الأفعال "دام" فلا يجوز أن يتقدم خبرها عليها، أما بقية الأفعال فيجوز أن يتقدم خبرها عليها لماذا دام؟ قالوا لأن دام لا تأتي إلا مسبوقة بما، وما هذه مصدرية موصولة، وهناك قاعدة نحوية أنه لا يجوز أن يتقدم شيء في الصلة على الموصول.
فإذا مثال للتوضيح فلا يقال: لا أصحبك منحرفا ما دمت، فهذا مثال خطأ لماذا لا يصح؟ ذلك قالوا لأن (ما) موصول هنا موصول حرفي، وصلته دمت منحرفا، فلو قدمت منحرفا فهنا أكون فعلت محظورا وهو أني قدمت شيئا من الصلة على الموصول وهذا لا يجوز بحال، وهذه قاعدة نحوية: أنه لا يجوز أن يتقدم شيء في الصلة على الموصول سواء كان الموصول اسميا أو موصول حرفيا بل يجب أن يتأخر الخبر فتقول: لا أصحبك مادمت منحرفا.
فهنا يجب كما قلنا أن يتأخر الخبر لأن الخبر من صلة الموصول، وصلة الموصول أو جزء من صلة الموصول لا يتقدم على الموصول.
بقي نقطة أخرى نشير إليها إذاً حكم تقديم أخبار هذه الأفعال عليها نقول يجوز أن يتقدم إلا في دام وحدها لأن (ما) موصول ولو قدمنا الخبر لأصبحنا نقدم صلة الموصول أو بعض صلة الموصول على الحرف الموصول وهذا لا يجوز.
بقي نقطة ليس، ليس اختلف فيها أيضا النحويين، هل يجوز أن يتقدم خبرها عليها؟ اختلف فيها خلاف كبير، لكن الذي سار عليه ابن هشام وأجازه هو أنه يجوز أن يتقدم خبر ليس عليها فتقول: بخيلا ليس زيد.